ممارسة اللغة العربية الفصيحة بين الواقع و الطموح من خلال الإعلام

إبراهيم عبدالعظيم أبو المجد هلالي

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، و بتوفيقه تتحقق الغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. و أزكى صلوات الله و تسليماته على سيدنا محمد، ورضي الله عن آله و صحبه الذين آمنوا به و عزروه و نصروه ، واتبعوا النور تاذي أنل معه. في مستهل بحثي أتقدم بالشكر إلى صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي حفظه الله، المنظم للمجلس الدولي للغة العربية ، كما أشكر كل الإخوة الذين ساهموا و قدموا و قدروا هذا المؤتمر العظيم.

مما لا شك فيه أن اللغة العربية هي لغة القرآن، واللغة التي تكفل الله سبحانه برعايتها بعنايته المباشرة للقرآن الكريم [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا له لَحَافِظُون.] وصاحب اللب البصير و العقل الرشيدهو الذي يعلم جيدا أن اللغة العربية قد اتسعت لكل الأمم على ما يقرب من أربعة عشر قرنا، وذلك راجع إلى فضل الله أولا ثم فضل أهل هذه اللغة، لمَ لا؟ وقد رأينا عظماء في كافة المجالات قد مثلوا اللغة العربية، فانظر إلى الخوارزمي الذي تميز بالفصل بين علمي الحساب و الجبر، وابن سينا الذي احتل المرتبة الأعلى في الطب، وابن النفيس الذي اشتهر باكتشاف الدورة الدموية. وعندما أتأمل إلى الحالة المتدنية التي وصلت إليه لغتنا فإني أُرجِعها إلى الأسباب التالية:

١. الانبهار الشديد بلغة الغرب؛ وذلك بسبب التقدم العلمي والحضاري و الأدبي الذي توصلوا إليه، فالأمة التي لا تستطيع أن تصنع حضارة لا تُحترم لغتها.
٢. بعض الإعلام الهابط.
٣. ضعف المقررات الدراسية، والخلل في توفير الكفاءات العالية القادرة على احتواء تدريس اللغة بأسلوب يناسب العصر.
٤. ضعف الوازع الديني، فلم يعد هناك اهتمام بقراءة القرآن قلاءة صحيحة خالية من اللحن.
٥. انعدام الشعور عندنا أننا أمة مستقلة لها خصائصها و اهتماماتها ولغتها الخاصة.

وفي بحثي هذا أحب أن أعرض تجربتي التي مارستها مع طلابي في مدارس دار الفكر، وهذه الفكرة تتلخص في كيفية انطاق ابناء العربية الفصحية بشكل تلقائي دون توجيه أو إجبار، وذلك عن طريق عرض بعض حصصهم و أعمالهم بشكل إعلامي يغلب عليه الحوار و المناقشة بلغة عربية سليمة.

تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى (اللغة الفارسية أنموذج)

دخل العرب بلاد فارس سنة ٣٠ هـ - ٦٥١ م بعد مقتل يزدجر الثالث في وقعة نهاوند التي سميت فتح الفتوح وقد انتشر الإسلام في ربوع إيران انتشاراً سريعاً وأسلم كثير من الفرس في مدة وجيزة وبانتشار الإسلام انتشرت العربية في أنحاء إيران وأصبحت اللغة البهلوية وخطها مهجورين لأن البهلوية ارتبطت في أذهان الفرس المسلمين بالديانة الزرادشتية فنفروا منها، كما ان الكتابة البهلوية لم تكن شائعة بين الفرس بل كانت محصورة في طبقة خاصة منهم هي طبقة الكتاب وهذا العامل سهل على الفرس هجرها واستعمال الكتابة العربية الجديدة.

وقد مرت العلاقات اللغوية ومسار التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والفارسية بمراحل عديدة، وحالات مختلفة من التطور والتكامل، نتج عن ذلك تراث إنساني خصب وزاخر بالحيويّة والعطاء، بعد أن سرى التأثير في مختلف مناحي اللغتين: ألفاظاً، وجملاً، وخيالاً وتعبيراً .

وتكتب اللغة الفارسية بالحرف العربي، وقد اهتم الفرس بهذا الخط بعد أن صارت تكتب به لغتهم، وابتكروا أنواعاً جديدة من الخطوط العربية وقد كان لدراسة اللغة العربية وأدبها شأن عظيم في إيران منذ العصور الأولى للإسلام لكونها لغة الدين ولغة الدولة. وكانت اللغة العربية تُدرَّس في مختلف المستويات من الكُتَّاب إلى المدارس العليا وكان يهتم بها طلبة علوم الدين المرشحون للمناصب الحكومية من الكُتاب والعمال وكان الكُتاب في الغالب على جانب كبير من الثقافة الأدبية العربية بمقتضي مهنتهم .

والعجيب أن الفارسية احتوت على كثير من الألفاظ العربية، فمن الباحثين من أحصى عدد المفردات العربية في بعض نصوص كتب التراث الفارسي، فقال: إن في الصفحة الأولى من تاريخ البيهقي مئة وخمساً من الكلمات العربية، من مئتين وستة وخمسين كلمة فارسية في الصفحة الواحدة. ويرى الدكتور محمد نور عبد المنعم في كتابه اللغة الفارسية أورد: ثماني عشرة كلمة من مئة وعشرين كلمة فارسية. ومنهم من أحصى اثنين وأربعين كلمة عربية في نص واحد، في إحدى خُطب شاه إيران من مئة وعشرين كلمة فارسية.

ويؤكد العلامة حسين مجيب المصري أن كثرة الألفاظ العربية في الفارسية شيء مُلاحظ في النصوص القديمة والحديثة على حد سواء. إن هذه الكثرة تتفاوت، كما أن هذه الألفاظ منها ما دلّ على معنى جديد، لم يكن في العربية، أو منها ما استخدِم بمعناه في العربية. وفي الإمكان متابعة هذه الألفاظ العربية في تزايدها في الفارسية على امتداد القرون.

إن اللغة الفارسية الجديدة وان أصبحت لغة الفرس القومية إلا إنها مع ذلك عاشت مع العربية جنباً إلى جنب في تآلف وتعاون وتفاعل وقد أثرت كل منهما في الأخرى وتفاعلت معها، وقد أدت هذه العلاقات الواسعة بين العرب والفرس إلى انتشار لغتيهما وتبادل التأثير فيما بينهم.

ويمكن القول إن الفارسية اليوم تشتمل على ما يقرب من ٦٠ ٪ كلمات عربية الأصل، وكان احتواء الفارسية على العديد من المفردات والمصطلحات العربية، جعل الفرس يلتزمون كثيراً من قواعد الصرف والنحو العربية كي يفهموا أصول تلك المفردات واشتقاقاتها، وتقوم قواعد العروض والبلاغة وبحور الشعر الفارسي على الأوزان وبحور الشعر نفسها، كما أن البلاغة ومصطلحاتها مأخوذة من مثيلاتها العربية وهذا ما يؤكد قوة اللغة العربية وقوة تأثيرها، وقدرتها على التعبير.

الإعلام وتنمية الوعي اللغوي

اللغة كائن حي ينمو وقد دلت البحوث على أن لوسائل الإعلام عامة دوراً مهماً للغاية في تطوير اللغة العربية وقد أضافت أجهزة الإعلام بمختلف وسائلها عبر ما يقرب من قرنين إلى اللغة العربية كلمات وعبارات وتراكيب جديدة مبتكرة ألفها المجتمع على ألسنة الناس سلسة سهلة .

ولغة الإعلام قد أضافت على اللغة العربية عبارات لا تحصى وأَثْرَت حركتها بأن جعلت فيها حيوية تتفق مع روح العصر.

وعملية الإنماء اللغوي هذه تتطلب العمل المستمر على فرض رقابة تضمن للغة العربية باستمرار ما يقيها من التحريف وتجعلها دائماً على مستوى الرقي الفكري في كل جيل من الأجيال ويا حبذا تتضافر وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية لتكوين الملكة السليمة في تقديمها للنماذج اللغوية الصحيحة وتعميمها وقد يكتمل هذا الدور عندما تضاف الجهود فالكل يعمل في ميدان مقدس ألا وهو لغتنا الجميلة فتقدم دور النشر القصص التاريخي وكتب التراث التي تعيد إلى اللغة العربية رونقها وجمالها وبهذا تتأصل اللغة العربية عند القارئ نطقاً وكتابة ويستشعر القارئ روعة اللغة العربية فيحبها ثم يعشقها .

وهذا لابد لوسائل الإعلام أن تفهم اختيار اللفظ والعبارة ومراعاة الكلمات الصحيحة التي تستطيع الجماهير استيعابها وفهم مقاصدها والابتعاد عن الألفاظ الوضعية الغربية غير المألوفة وعدم التكلف في صياغة النصوص الإعلامية ومراعاة مستوى إفهام هذه الجماهير حتى يقبلوا على اللغة العربية الصحيحة ولا ينفروا منها وفي نفس الوقت الابتعاد عن الألفاظ المبتذلة وكذا الإسعاف في اختيار الكلمات الهابطة لعرض المعاني بهدف الارتقاء بمستوى الجماهير ورفع مستوياتهم اللغوية وملكاتهم الفكرية .

ويشير فاروق شوشة إلى هذا الجانب

ويعني أن أجهزة الإعلام رأس الحربة في هذا المجال ، لأنها تحرك الساكن في بحيرة اللغة ، وتجعلها حية وقادرة حافلة بالإمكانيات في التعبير والتصوير مستجيبة لكل دواعي الحياة الجديدة ومتطلباتها ، قادرة على الوفاء باحتياجات العصر ، حيث يجعل اللغة قادرة على الاستمرار والاتساع لما هو جديد.

اللغة بين الإعلام و التعليم

إن اللغة العربية المستعملة في بعض وسائل الإعلام هي لغة فصيحة، سهلة التناول، قريبة من أفهام عامة الناس، وهي لغة مقبولة على ما قد يشوبها أحيانًا من بعض الأخطاء اللُّغوية، أو الأسلوبية، أو النحْوية، ولكنها أخطاء يمكن تجاوزها، والارتقاء بلغة الإعلام، ولا سيما إذا ازداد الوعي اللُّغوي، ونما الإحساس بأهمية العربية، والحرص على ألا تزاحمَها العاميَّات في هذه الأجهزة التثقيفية الهامة.

إن الإعلام – بما يملك من إمكانات التواصل المذهلة، وبسبب تأثيره البالغ في المتلقين – يمكن أن يكون من أنجع وسائل الازدهار اللُّغوي، وتقريب المسافة بين المواطن العربي ولغته القومية، وإنه لقادرٌ على خدمة اللغة العربية خدمةً لا حدود لها، ولا سيما في عصر ثقافة الاستماع، ثقافة الصورة المصاحبة بالكلمة المنطوقة، واستعلائها على الكلمة المقروءة.

وهذا ما ينبغي أن نركز عليه لإيجابيات لا السلبيات، ومن يتأمل واقع الأمة العربية و مدى صلتها بحاضرها اللغوي يجده واقعا أليما، فلم يعد هناك أي حرص على ممارسة اللغة حتى ولو كانت الممارسة في أدنى مستوياتها. من هنا... بدأت أفكر بين الواقع و الطموح. فالواقع يقول إن الكتب الدراسية و كل نوافذ التعلم لن تجدي أي ارتقاء تجاه هذه اللغة، فكان لابد من التفكر حول إيجاد السبل التي تلامس طموحاتنا. فقمت بالدراسة و البحث حول الآلية اللاصفية التي تربط بين مشاعر الطلاب وبين ممارسة اللغة العربية. وهنا كانت الفكرة الرئيسة موضوع البحث " ممارسة اللغة العربية الفصيحة بين الواقع و الطموح من خلال الإعلام" فقمت باختيار مجموعة من الطلاب بينهم تفاوت في صلتهم باللغة العربية وأيضا تفاوت في مراحلهم الدراسية، فقد اخترت طلابا من الصف الثامن و التاسع و العاشر. تمرسنا على كيفية إعداد البرامج و ذلك بالتعاون مع قناة "اقرأ " الفضائية. و مكثنا في ذلك الأمر ست أسابيع، ليس هناك همٌّ لدى الطلاب سوى التجهيز والاستعداد للموضوع محل النقاش مع الضيف المختار. فقد اختار الطلاب ضيوف الحلقات حسب توجهاتهم و اهتماماتهم، فهناك من كان ضيفة أحد المنشغلين بالتربية، و هناك من كان ضيفه والده، و هناك من كان ضيفه أحد اللاعبين الكبار في المنتخب السعودي، فوجدت المتعة و الحرص في أعين الطلاب على الاستعداد لمثل هذه الحوارات والمناقشات. الذي أريد ذكره في هذه الأمر أن كل الاستعدادت كانت باللغة العربية. ليس ذلك فحسب بل هناك بطبيعة الحال تركيز على نطق الحروف نطقا صحيحا، والقدرة على الإلقاء بشكل يتناغم مع التعبير الصحيح لحركة الوجه فكانت الثمرة متعددة. ومن وجهة نظري هذا هو المطلوب، أن يقبل الطالب على اللغة بدون توجيه وبدون إجبار وبدون إكراه وبعيدا عن التنظير. فوجدنا الطالب من تلقاء نفسه يسأل عن هذه الكلمة منصوبة أم مجرورة أم مرفوعة، و الأكثر اهتماما يتطرق إلى الأسباب. ومن هنا أقترح أن يكون هناك لكل مدرسة ملحق إعلامي مدعوم بشكل مباشر من الجهات الحكومية، يتم فيه مناقشة كل اهتمامات الطلاب على كل المستويات، ويشرف على هذا الملحق كوكبة متخصصة من اللغويين و مشاركة أحد الإعلاميين المعروفين، والتنسيق مع مدربي الإلقاء. يغلب على ظني أن هناك نتيجة – إلى حد ما – مرضية؛ حيث إنه بإمكاننا تخصيص ثلاث حلقات متنوعة من خلال المواد الدراسية، والاستعانة بخبراء خارج أسوار المدرسة . ولن تكون التهيئة لمثل هذه البرامج إلا باللغة العربية السليمة الصحيحة. و هناك سؤال أخير: أين ستبث هذه الحلقات؟ والإجابة على ذلك وبكل بساطة: على مواقع التواصل الاجتماعي. و لايفوتني أن أؤكد بضرورة مشاركة كل الأبناء قدر المستطاع ؛ كي تعم الفائدة بإذن الله تعالى. وأخيرا أحب الإشارة إلى أن هذا الأمر ليس بديله الإذاعة المدرسية كما يظن البعض، فالإذاعة المدرسية تعتبر تقليدية فيها شيء من الملل، فنحن نبحث عن آلية ماتعة مشوقة لممارسة اللغة العربية.

المراجع

١. فيصل ، شكري (دكتور) – قضايا اللغة العربية المعاصرة ، بحث ضمن كتاب (من قضايا اللغة العربية المعاصرة) ط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٩٩ م.

٢. شرف ، عبد العزيز – وسائل الإعلام ولغة الحضارة ، مؤسسة مختار للطبع والنشر / القاهرة

٣. ابو الفتوح ، محمد حسين – الوعي اللغوي بين قاعات الدرس وأجهزة الإعلام – جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية – المؤتمر السنوي – أكتوبر ٢٠٠٠ م .

٤. محمد نور الدين عبد المنعم: معجم الألفاظ العربية في اللغة الفارسية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٥.

٥. د. أنور محمد زناتي، أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية،